مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 15 ع 01.
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

من الإنسان القنوط إلى ضرورة تفعيل رياضة التزكية من أجل ولادة الإنسان المتزكي

From the despairing human being to the necessity of activating the practice of purification in order to give birth to the purified human being

د. سلسبيل بن قاسم D.Benkacem selsabil
s.benkacem@univ-setif.dz
فلسفة/ جامعة محمد لمين دباغين سطيف2/ الجزائر

DOI:10.46315/1714-015-001-005
الإرسال: 2025/07/18 **القبول**: 2025/10/06 **النشر**: 2026/01/16

**

ملخص:
تهدف هذه الورقة العلمية لدراسة أهم مرض من أمراض العصر وهو مرض القنوط أو غياب المعنى والقيمة عند الانسان من أجل رصد أسباب الإغتراب لدى الانسان المعاصر ومن أجل البحث عن طرائق تربوية لتهديب النفس ومكاشفة السبل العلاجية لتشافي النفس والعقل للخروج من ظلامية المفاهيم والمناهج المادية، فكان اعتمادنا على منهج التحليل في هذه الدراسة من خلال تحليل الأسباب والرؤية المتسيدة على هذا الانسان المنسي، لأنه نسي ذاته ونسيه العالم، وتحليل مقامات التزكية وتبيان طرائقها، فكانت من أهم النتائج المثمرة لهذه الدراسة هي رسم مسالك الانسان المتكامل وبناء حضارة توازن بين المادة والروحانية وأول عمل لهذا الطريق هو منهج التزكية لأنه أهم منهج تربوي لإصلاح كلية الانسان لأن التزكية هدف العمران ووسيلته، ولن تتحقق التزكية إلا بالإيمان والعمل أي في القلب والفكر والسلوك وضرورة تطبيق هذا المنهج في المناهج التعليمية والتربوية وتفعيلها في الأسرة والمدرسة والجامعة ليبقى الانسان دائما في مرحلة الإنسان المكابد للوصول إلى نموذج الانسان المتزكي.
كلمات مفتاحية: الانسان القنوط؛ التزكية؛ النفس؛ الرياضة؛ المادية.

Abstract :

This scientific paper aims to study the most important disease of our time, which is the disease of despair or the absence of meaning and value in human - in order to monitor the causes of alienation in contemporary man and to search for educational methods to discipline the soul and reveal therapeutic ways to heal the soul and mind to escape the darkness of material concepts and approaches. We relied on the analytical method in this study by analyzing the causes and the dominant vision of this forgotten human, because he forgot himself and the world forgot him, and analyzing the stations of purification and clarifying its methods. One of the most important fruitful results of this study was drawing the paths of the integrated human and building a civilization that balances between matter and spirituality. The first work on this path is the method of purification because it is the most important educational method for reforming the whole of human because purification is the goal and means of civilization, and purification will not be achieved except through

faith and action, that is, in the heart, thought and behavior. It is necessary to apply this method in educational and pedagogical curricula and activate it in the family, school and university so that human always remains in the stage of the struggling man to reach the model of the purified human.
Keywords. despairing human.; purification; soul; exercise; materialism.

**

- مقدمة

تعلمنا في فلسفة القيم أن الإنسان مفطور على هاتين القيمتين، المحبة والحكمة، لكن اليوم نلاحظ أنه عندما مال وتغافل عنهما هوى إلى أسفل سافلين فمرضت نفسه وسكن فكره في إطار نموذج عقلي أحادي لا يقبل الاختلاف والتحاور، فخرج من صُلب هذا العقل الماي والأحادي الإنسان الاستهلاكي والإنسان المنفعي الذي تمرّد على فطرته وتجرّد من لباسه القيمي، وإذا أردنا أن نقدم أقوى نموذج يمكن أن يُعرّف لنا إنسان الفطرة أو يُبيّن لنا حقيقة العقل الإنساني الذي يغمره نور العالم العلوي سنجد رواية حي بن يقظان لابن طفيل تقدم لنا النموذج الأكبر لتبيان سمات الإنسان المفطور على حب الإيمان والحكمة، حي بن يقظان هو الإنسان الذي عُرف بتأملاته وتساؤلاته حول أسرار الوجود وحبه البريء للمخلوقات والكون، لكن اليوم مع تغير العالم وتقدم العلم ومع سيطرة التكنولوجيا نسي هذا الإنسان ذاكرته القيمية وفسدت فطرته شيئا فشيئا بسبب شروده الفكري والأخلاقي في عالم المادة ، وربما لهذا السبب غيّب اليوم سؤال النفس ومعرفة أحوالها في غالب عناوين الإشكالات الفلسفية المعاصرة أو حتى في محاور التخصصات الفلسفية والعلوم النفسية ودار التفلسف حول مشكلات الحضارة المادية وتوصيف تغيّر القيم، وراحت مراكز البحث والفكر تحلل المشاكل العالقة حول مآزق الحداثة الغربية وتتسابق في تقديم نماذج أخلاقية كرؤى استشرافية للمستقبل وإلقاء تحليلات واقتراحات من أجل التغيير، وهكذا، أصبح الحديث عن أحوال النفس من المواضيع المنسية، ولم نعد نتجه إلى دراسة فقه النفس والنظر في مسالكها والكشف عن أمراضها وسبل العلاج، لقد عُرف سقراط بمقولته اعرف نفسك بنفسك والتي اتخذها شعارا في فلسفته، بل كانت ثورة فلسفية في تاريخ الفلسفة اليونانية للبحث عن الحقيقة الداخلية للإنسان وترويض شهوات النفس عن طريق عمل الخير والبعد عن الشر والتصنع، وفي الفلسفة الإسلامية كان موضوع النفس يشكل نقطة ارتكاز للتفلسف والتحليل للبحث عن مناهج وسبل لتطهيرها وتنقيتها من الأسقام، ومن بين هذه المناهج التي قدمها فلاسفة الإسلام نجد منهج التزكية، من هنا يمكننا أن نطرح الاشكال التالي: كيف يمكننا تطبيق المنهج

التزكوي في الفكر والسلوك لإنتاج الانسان المتزكي؟ وماهي المسالك التربوية التي توجب انتهاج التزكية كرياضة نفسية؟

من خلال هذه الإشكالية سنصيغ لها فرضية للانطلاق في الدراسة والتحليل: فإن تدريب النفس والعقل على التخلق بفعل التزكية سيعيد الانسان إلى فهم رسالته في الوجود من أجل انتاج القيم والمعاني للخروج من ظلمة القنوط والعدمية.

سنعتمد في هذه الدراسة الفلسفية على منهج التحليل لتحليل أهمية هذا الفعل ودوره في ترقية الانسان من مقام اللامعنى إلى مقام التنمية والقيم.

1- الرؤية المادية وقنوط الانسان:

إن الإنسان المعاصر (المادي) الذي يعاني من الاغتراب النفسي وغياب الشعور بالمعنى والقيمة هو الإنسان الذي سجن نفسه في عالم الأشياء والمادة لذا حجبت عنه الرؤية الملكوتية والرحمية للعالم التي فطر عليها، بل أصبح أكثر انعزالا وقلقا "لقد أصبح العيش من دون مثل أعلى ولا غاية سامية ممكنا واقتصر اهتمام الناس على تأمين الصحة وحماية الحالة المادية والتخلص من العقد وانتظار العطل...يريد أن يعيش الحاضر ولا شيء غير الحاضر، ولم يعد يرغب أن يعيش وفقا للماضي والمستقبل، وفقدان معنى الاستمرارية التاريخية هذا وتآكل الإحساس بالانتماء إلى سلسلة من الأجيال المتجذرة في الماضي والممتد في المستقبل هو الذي يميز المجتمع النرجسي ويخرجه إلى الوجود بحسب كريستوفرلاش إننا نعيش الآن من أجل أنفسنا، دون الاكتراث لتقاليدنا ولا لمآلنا لقد هجر المعنى التاريخي كما سبق، وهجرت القيم والمؤسسات الاجتماعية" (ليبوفتسكي، ج،2018، 55)، لذا نلحظ اليوم انتشار بقوة ظاهرة الهجرة غير الشرعية عند الشباب لأنهم يعيشون حالة اغتراب نفسي وخواء الأفئدة من القيم العليا مثل الصبر، قوة الإيمان، الحب، الهمّة، الفاعلية، حب العمل، وهكذا، إلى أن يغيب عنه الإحساس والشعور بالانتماء ويغلب عليه الاكتئاب وفقدان الأمل، وينسى معاني وعبر التاريخ لتجاهله وغفلته عن حقائق سير العظماء وأبطال التاريخ، ربما لذلك هجر شباب اليوم المعنى التاريخي والقيمي للوطن فكانت رحلة أنفسهم كظلمات بحر لجي ظلمات بعضها فوق بعض وأصبح هدفهم الأكبر هو الهجرة غير الشرعية أو الاتجاه إلى الانحرافات السلوكية لأن ذواتهم تغافلت عن معنى حب الوطن وفهم التاريخ وعن قيمة الإنسان في هذا الوجود.

يقصد بالقنوط المزيد من القلق والعبثية والتشاؤم والأسى ليعيش الإنسان بلا هدف وبلا معنى بل يتنفس الفوضى في النوايا والاندفاعات والاتجاهات ويشتكي من ضُعف الإرادة، هكذا إلى أن يغفل الإنسان عن أدواره ورسالته لأن طاقته سيّبت في اللامعنى، وذلك لإحساسه الدائم بالفراغ الجواني العبثي، ونجده يقول "لو أني فقط كنت أستطيع أن أحسّ بشيء ما: تترجم هذه العبارة بالقنوط الجديد الذي أصاب عددا متزايدا من الذوات، ويبدو أن اتفاق الاختصاصيين النفسيين حول هذه النقطة هو عام، إذ أن الاضطرابات

النرجسية هي التي تشكل منذ خمس وعشرين أو ثلاثين سنة الجزء الأكبر من الاضطرابات النفسية التي يعالجها المتخصصون، في حين أن الاضطرابات العصبية التقليدية خلال القرن التاسع عشر، مثل الهستريا والخوف والهوس التي قام عليها التحليل النفسي، لم تعد تمثل الشكل الرائج للأعراض" (ليبوفتسكي،ج، 2018، 11)، كل هذا يرجع لأسباب كثيرة منها الحداثة والثورة الإعلامية التي سببت الحيرة والشرود النفسي.

ومن أسباب تسيد الرؤية المادية في هذا العصر، يرجع ذلك إلى اجتثاث القيم الأخلاقية أو فصل الرؤية الدينية عن حياة الإنسان، لذا غاب عنا فهم النفس وسعادتها فهما كليا ومتكاملا، فنجد من يُقرر أن سعادة النفس في لذة الحياة وذلك عند حصولها على ما تشتهيه من عالم اللذات والماديات بحجة أن الإنسان المعاصر ملزم بأن يواكب عصره ولكي يزامن هذا التطور والارتقاء فما عليه إلا بشحن زاده المادي والأداتي، لكن بعد تكديسه للأشياء وسيطرته على عالم المادة شعر بأنه عبد فقير من المعاني الكلية واللذات الروحية، والبعض راح يبرهن أن كمال النفس وصلاحها يكمن في اتباع منهج القوة العقلانية أي أن العقلانية هي المعيار في التفسير والتحليل لتحكم بنسقها على فضاءات الحياة، لذلك لجأ هذا الإنسان بتفكيره الاختزالي إلى العلم وقوة المعرفة ونسي أن يجمع بين الروح والعلم أو بين الأخلاق والعلم، وغيرها من الرؤى والتحليلات المنفصلة عن المعاني والقيم العليا التي جعلت الإنسان المعاصر لا يرفع نظره إلى السماء هكذا هو حال الإنسان الأفقي (المادي، العلماني) الذي لا يذكر إلا ما يراه بصره وأفرغ العالم من رموزه وأبعاده القيمية والجمالية، ما جعله يجحد فضل ونعم خالقه عليه، بينما الإنسان العمودي والمتكامل هو الذي يبتدأ فكره وفعله بسؤال النفس وسؤال القيم وسؤال المعنى وليس بسؤال الأشياء، فالذات الإنسانية تتلاشى حين تفقد الوجهة "ووراء ذلك بقليل يقبع جانب من أكثر جوانب المعضلة الحديثة إثارة للاهتمام: انهيار المعنى فغياب التفكّر المنظم في الخيوط التي تصل حياتنا اليومية بالتغيرات المحلية والاجتماعية، أضحى فهم دلالة الأشياء صعبا بالفعل، هذا إن ألقينا بالا أصلا للقيام بذلك، ومما يتصل مباشرة بأصل العراقيل التي تحول دون فهم النفس فهما كونيا وتاريخيا تلك الرزية التي حلّت بكثير منا في العثور على معنى فيما نفعل أو الإحساس به، أما أولئك الذين لم تستهلكهم أو تشُلّ إدراكاتهم مطالب البقاء في العالم الحديث فهم في سعي حثيث للعثور على ترياق لهذا الخواء، فترى بعضهم يلجأ إلى الأبراج أو أديان محدثة مسايرة للموضة بحثا عن معان غضة" (سلون، ت، 2021، 35) ويرجع كذلك اغتراب الذات وغياب المعنى هو انفصال الفكر عن القيم أو انفصال الفكر عن الروح، لأن النفس انجذبت نحو ملذات الأرض وأصبحت مشيّأة لا تفقه المعاني الروحية ولا تفقه التكامل بين الروح والفكر وبين العقل والروحانية.

فالإنسان القنوط هو الذي يعيش حياة آلية وقلقة ويعمل بعبثية هو الإنسان الذي تغيب عنه رسائل وجوده ولا يسعى إلى إثراء حياته بمعاني ثقيلة تعلي من فكره وتشفي نفسيته في هذا الوجود، لذا نجده يعاني من الهشاشة النفسية والركود في الفكر والعجز عن التفكير الذاتي المستقل لبناء مثلا مشارع إصلاحية وتنموية، الإنسان الفاقد للمعنى يفقد السيطرة على الانفعالات، ويصعب عليه تحقيق التواصل البينذاتي ومساعدة الآخرين، أو قد يمارس سلوكا اندفاعيا أو مدمرا للذات وصعوبة في الرضا بالسعي الشخصي، من

الثقوب السوداء التي ساهمت في توسيع دائرة خواء المعنى هي الانقياد نحو الأفكار الميتة والمميتة التي تورّث الخمود والكسل والابتعاد عن الأهداف، تقتل في الفرد حركته ودافعيته للبناء والتجديد لأنها أفكار فاقدة للحياة وعديمة الفاعلية، تدخلنا هذه الأفكار في الاغتراب وفقدان حس المبادرة وتبلد العاطفة.

كما تموت الذات حين لا تتجدد وتبقى أسيرة آلامها وشهواتها ولا تسعى للبحث عن مسالك التهذيب والطهارة أو الرياضة النفسية، لذا يجب تحطيم ألواح القيم السلبية وإعادة كتابة القيم الأصيلة لتحرير الذات من مشاعر الفراغ والعدم، ويقول هنا نيتشه "ومن الناس من يدب الهرم إلى قلوبهم أولا، ومنهم من يدب الهرم في عقولهم ومنهم من يشيخون في ربيع الحياة غير أن من يبلغ الشباب متأخرا يحتفظ بشبابه أمدا طويلا، ومن الناس من ضلوا السبيل في حياتهم، فأضاعوا عمرهم، فعلى هؤلاء أن يعملوا على بلوغ التوفيق في موتهم على الأقل" (نيتشه،ف، 2020، 79) فلابد تعليم الناس معنى وجودهم وتعليمهم كيف يتأملوا في منهج حياتهم لكي لا تكون أعمارهم أرقاما فارغة تذروها الرياح،

2- ضرورة إحياء الذات وعلاجها بتقوية الحب الإلهي والتخلق بصفات الله.

لإحياء الذات ورسم معالم ارتقاء النفس إلى مقام التشافي والصلاح والسلام الذاتي لابد أن تسلك طريق العالم الملكوتي والقيم الروحانية، وللعروج إلى رؤية هذا السراج الوهاج لابد أن تجتهد النفس لتحقيق التقوية والتربية للسير إلى مدارج السالكين الصالحين لمعرفة الله تعالى والتخلق بصفات الله تعالى ولن يكون ذلك إلا بتنمية الحب الإلهي في النفس لتجديد الصلة بالله، "فكما تجب العناية القصوى بإصلاح أجهزة ومنظومات تفكير المسلم، يجب كذلك الاهتمام الشديد في نفس الوقت بإصلاح أجهزته ومنظوماته النفسية، وبناء عالمه الروحي، حتى يستشعر على الدوام حضور الله تعالى ورقابته، فيستقيم أمره وتنسجم حياته، ويتخلص من كل صور الشرك والازدواجية المقيتة التي تعرض جهده للاضطراب والاهتلاك والتآكل، فالطاقة الروحية الكامنة في الإنسان، إذا ما تم استنفارها وتعبئتها أو شحذها بطريقة منهجية متوازنة سليمة، أعطت للإنسان قدرات إرادية هائلة-تمكنه من الاستعلاء على جواذب الطين في كيانه الإنساني، والارتقاء بأدائه العمراني إلى مستوى الرسالية حيث تعظم فعاليته الاجتماعية وتبلغ درجتها القصوى" (برفغوث، ط، 2011، 178)، ربّ سائل يسأل هنا ما هو المنهج الذي يُمكّننا من شحن الطاقة الروحية لتوازن النفس والعقل؟ يمكن أن نقول أن باب التزكية والتصوف الإسلامي هو المنهج القويم لإصلاح الذات، فغياب التصوف كان سببا لجل مشكلاتنا اليوم "ولو زكيت النفوس، لفاضت القلوب حبا لله عز وجل، وخوفا ومهابة منه، لأثمر هذا الحب حبا لعباد الله وشفقة عليهم(والحب في الله كما يقول ابن تيمية –رحمه الله- من أرقى درجات التوحيد ومعانيه)،و لشاع فيما بينهم الإيثار بدلا من الأثرة، وتآلفت أفئدتهم، بدلا من التناكر والتدابر، ولجاءت نصائح بعضهم لبعض نورانية مؤثرة تستقر في أعماق القلوب، وتفعل فعلها الهادي في طوايا النفوس" (البوطي،م، 2016، 340)، فإن منهج الاتصاف الصوفي وتذوق الحب الإلهي هو المنهج الأقرب من حبل الوريد القلبي الحي للتقرب من الله عز وجل محبة فيه وشوقا إليه لكي يتحرر الإنسان

من الغفلة ويتجه لمعرفة حقيقة ذاته وكيف يجدد ذاته لإنجاز الخلافة ولإنهاء الصراع والحرب بين العقل والهوى وبين الفكرة والشهوة على قيادة الذات.

فتكون الروح هي المستخلفة والعقل هو مستشارها، بل الروح متشبث بأجزاء البدن يتخللها كتخلل الماء الصّوفة، فإن كانت لها الرئاسة عالجت جراح النفس المعاصرة، لأن "النفس ذات كمال ونقص فكمالها بالعقل والعلم ونقصها بالجهل والشهوات، وكما أن نقص القمر في الكسوف قد يكون سببه الأرض وهو الأسفل من العالم، كذلك نقص النفس إنما هو من ارتكاب الشهوات ومحلها أسفل سافلين وكما أشرقت الأرض بنور الشمس، كذلك أشرقت الأجسام بنور الروح" (ابن عربي، م ،2015، 76)، إذن شتان بين من ينطق عن الهوى وبين من ينطق عن الله تعالى، فحال النفس الأولى مجروحة ومرهقة، وحال النفس الثانية في مقام تذوق معرفة الله تعالى والتخلق بصفاته،" أرأيت لما ثبتت نبوّة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم واستقرّ في نفوس العقلاء أنه ينطق عن الله تعالى لا عن هوى نفسه كيف دخلوا في رقّ الانقياد والتسليم وتصرّفت عليهم وظائف التكليف، ولم يسألوا: ما الدليل؟ وما العلة؟...يموت الإنسان على ما كان عليه ويُحشر على ما مات عليه، وحذار حذار من فوات هذه الأسرار والاستضاءة بهذه الأنوار، فافترش أيها الطالب الحبيب بساط التسليم واخرج بالحرية عن رقّ الإنكار، وافرغ عليك حلّة المجاهدة واجعل على رأسك تاج الموافقة والمساعدة، وانظر النطق من غير محّل الخطاب تجده الحق، وانظر المستمع تجده مستمِعا مُسمِعا مُخاطبا مُخاطِبًا فإذ كان هو المتكلّم والمكلّمَ، المستمع والمسمع، فأنت عدم وإن كنت موجودا، كما أنت حاضِر وإن كنت مفقودا، ولذلك أشار صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه" ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره"، فمن يكن الحق سمعه وبصره فكيف يخفى عليه شيء؟ ومن كان الحق لسانه كيف ينتهي كلامه؟" (ابن عربي، م، 2015، 85)، والسؤال هنا هو كيف السبيل للوصول إلى الحب الإلهي؟ وما هي أسرار هذا الحب وكيف تكون بدايته؟ وهل يكون من باب الشوق أو من باب الخوف أو بسبب القلق الداخلي الذي يعيشه الإنسان؟ في الحقيقة أن هذا "الخوف هو الذي يثير القلق في الحب، والقلق هو الذي يهب هذا الحب-بالرغم من طابعه السكوني الاستاتيكي جانبا حركيا ديناميكيا ظاهرا، وهو جانب لا ينتهي إلا في مقام الوصول الكامل وأنى للصوفي الحقيقي أن يبلغه... هذا المعنى أفاض فيه المحاسبي في الموضع نفسه فقال الحب لله في نفسه استنارة القلب بالفرح لقربه من حبيبه، فإذا استنار القلب بالفرح استلذ الخلوة بذكر حبيبه، فالحب هائج غالب، والخوف في قلبه لازم لا هائج، إلا أنه قد ماتت منه شهوة كل معصية، وهُدى لأركان شدة الخوف، وحل الأنس بقلبه لله، فعلامة الأنس استثقال كل أحد سوى الله، فإذا ألف الخلوة بمناجاة حبيبه استغرقت حلاوة المناجاة العقل كله حتى لا يقدر أن يعقل الدنيا وما فيها" (بدوي،ع، 1962، 67)

ومن هنا يمكننا القول، شتّان بين الإنسان العاشق لله الذي ينطق بالحكم الربّانية والمعاني الإلهية وبين الإنسان المادي الفاقد للمعنى الذي سجن العقل والنفس في قفص حديدي ليصبغ بتصوراته المادية والحسابية (التفكير المادي) على كل الأفكار والمعاني فلا يترك مجال لخشوع العقل والقلب مادامت رؤيته

الوجودية للعالم مادية، فأصبحت أوعية الكلمات فارغة من الحكمة، والأفكار جامدة وخامدة غير فاعلة لأن القلب مريض بأمراض الهوى ولأنه فقد بوصلته الأخلاقية والروحية وأصبح قوله منسيّ وكلمته شاردة جافة من القيم والمعاني.

3_ التزكية كرياضة نفسية علاجية

لأن التزكية مفهوم تربوي متكامل وجامع بين النظر والعمل فلا يمكن اختزاله في الحقل المفهومي النظري حول دراسة النفس الإنسانية، بل نجد فعل التزكية منهج متكامل جامع بين عناصر الجسم والعقل والروح من أجل بناء الشخصية الإسلامية الفردية والجماعية، لترقية النفس الإنسانية وتطهيرها من مذموم الأوصاف وكذا تزكية العلاقات الاجتماعية بتنمية روح التعاون والمحبة والتكافل، لذا "لابد من الإشارة إلى الخطأ الشائع وهو الاعتقاد بأن التزكية عبارة عن إصلاح الباطن، وزاد الاعتقاد رسوخا إسناد نعت الروحي لها، على اعتبار أن هذا النعت لا يصدق إلا على الباطن، وليس الأمر كذلك، إذ هي إصلاح كلية الإنسان في تفاعل باطنه مع ظاهره، فكما أن إصلاح أحوال الباطن يؤثّر في أوصاف الظاهر، فتنصلح هذه الأوصاف، فكذلك إصلاح أوصاف الظاهر يؤثر في أحوال الباطن، فتنصلح هذه الأحوال، ولا يقال إن التزكية أضيفت، في القرآن، إلى النفس في قوله تعالى ونفس وما سوّاها، والنفس إنما هي أمر باطن، لأن الجواب هو أن النفس معناها في هذه الآية هو الذات باعتبار بواعثها، والذات هي الماهية، وماهية الإنسان ليست عنصرا جزئيا منه، وإنما هي عبارة عن كليته (طه، ع، 2022، 343).

فالتزكية موضوعها الإنسان المستخلف "وهو موضوع الإصلاح في الواقع الإنساني، إصلاح الفرد والجماعة والأمة، والإنسان مادة وروح، والتزكية تشمل المادة والروح، وأيّ حديث عن قضايا الإصلاح لا معنى له إلا إذا تعلق بالإنسان، واستهدف ترقيته في مراتب التزكية، والتزكية هدف العمران ووسيلته في الآن نفسه، فهي ليست مسألة مشاعر وخلجات وخواطر نفسية، مقصورة على مستوى الإصلاح الفردي، بل تدخل في صميم البناء الاجتماعي والعمران البشري" (الملكاوي، ف، 2013، 81)، فتكون التزكية بالإيمان والعمل الصالح فتحقق التزكية بالابتعاد عن الآثام والإكثار من الأعمال الصالحة "وفي المقابل يخسر ويخيب من تحقق بالتدسية: وهي الحالة التي يتصف صاحبها بالخصائص التي تحول بينه وبين فعل الصالحات، وحرمانها من الترقي والزيادة في الخير، والسمو بالنفس، والنفس الإنسانية التي يتحقق لها الفلاح بالتزكية، وتُلقى في مهاوي الخيبة والخسران بالتدسية، هي الذات الإنسانية جسما وعقلا وروحا، وهي الفرد الإنساني والجماعة الإنسانية، وللنفس الإنسانية مال تمتلكه بتفويض من مالكه الأصلي، وهو الله سبحانه، ولها بيئة مكّن الله للإنسان فيها واستخلفه عليها، ليسخّر أشياءها وأحداثها وظواهرها في الإعمار، والبناء الحضاري، لكن محور التزكية في كل ذلك هو الوجدان الإنساني الذي يكون موضوعا للترقية والتربية والتنمية" (الملكاوي،ف، 2013، 83)

فتزكية النفس هي تطهير للنفس وتطهير الضمير والجوارح "فكل صور الصلاح والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف، وإقامة العدل والإسهام في تنمية المجتمع والأمة، والجهاد في سبيل الله أمور إيجابية إذا حببت إلى النفس، زكّتها ورقّتها وطهّرتها، وارتفعت بها إلى التقوى والفلاح، وفي المقابل فإن كل صور الفساد، وفعل المنكرات أو إشاعته، والبخل بالنفس، والشح بالمال، وقطع الأرحام، وارتكاب الظلم، والتقاعس على إتقان العمل والقيام بالواجب، وتضييع الحقوق، وإهمال الواجبات، كل ذلك أمور سلبية، إذا أدركت النفس قبحها، والتزمت بتجنبها، كان ذلك مدعاة لتزكية النفس وترقيتها وتطهيرها ويرد لفظ التزكية في القرآن الكريم بمعنى التطهير والترقية للمشاعر النفسية وللعلاقات الاجتماعية" (الملكاوي، ف،2013، 85) ففعل التطهير هنا يشمل الجوارح والسلوك فهو منهج يغيّر سلوك الفرد وتفكيره.

وتكون التزكية مذمومة حين يزكي الإنسان نفسه بنفسه بالمدح والثناء وهنا تهوى النفس وتبتعد عن طريق الرشاد والطهر والبركة لأنها تميل إلى الإعجاب وحب النفس والكبر والترفع (النرجسية) فيبدأ الإنسان بمدح نفسه وأعماله وحب الاستعلاء والظهور وينسى الإنسان الغافل أن فعل التزكية هي فعل الله سبحانه وتعالى، والتزكية المحمودة هي تزكية المال لتطهير النفس من الشح بالمال ولتحقيق التكافل الاجتماعي وتزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح وتزكية الجسم: فاليد تتزكى بالصدقة والعطاء والعين تتزكى بالتأمل والتدبر في ملكوت الله والغض عن الشهوة وتزكية الرجل: السعي إلى أعمال الخير، تزكية البطن: أن يملأ بالطعام الحلال في مادته، وفي مصدره، وفي كميته، ومن تزكية اللسان أن يكون نطقا ذكرا وصمته فكرا، فلا يقول إلا الحق والصدق، ولا ينطق بالغيبة والنميمة، وإشاعة الفاحشة" (الملكاوي، ف، 2013، 103)، وزكاة القلب بالتفكر في عظمة الخالق ورحمته وقدرته ونعمته، وتزكية العقل تكون بالتدبر والتفكر والفهم وتعقّل العلوم والمعارف.

ومن تدسية النفس: زنا الجوارح، حين تتيه الجوارح (السمع والبصر، القلب..) بين الأوهام وتنحرف إلى الهاوية ولا تتبع سبل الاستقامة والهداية ويكون طريقها الظلام والفوضى والعبث والأذى، لأن الجوارح هنا اتبعت شهوة النفس وما تتمنى، لذا على الإنسان أن يخرج من حياة الغفلة والعبث ونزوات الشهوات والأهواء ومما يأتيه من هجمات النفس، ويبدأ بالبحث عن سبل الصلاح النفسي والاجتماعي وأول خطوة للصفاء هي محاسبة النفس ومراقبتها فتكون المحاسبة في مستقبل الأعمال ومستدبرها.

كما لا يجب أن ننسى أيضا سبب آخر لإهمال منهج التزكية في العلاجات النفسية والمناهج التربوية المعاصرة هو غياب تام لمفاهيم التربية الروحية والنفسية الإسلامية كمفهوم التطهر، ومفهوم المحاسبة، والبصيرة، الصراط، التدبر، الاعتبار، الرؤية الملكوتية، الرياضة النفسية، المكابدة، المجاهدة،" ولا أدلّ على شناعة هذا الإهمال من حذف مفهوم التزكية وأحكامها من هذه البرامج، وإيضاح ذلك من أوجه، أولها، أن هذا المفهوم أدل على المقصود بـ التربية على مقتضى تعاليم الدين من مصطلح التربية...والوجه الثالث أن القرآني أجرى على مفهوم التزكية من وجوه النسبة ما أجراه على مفهوم التعليم فالخالق سبحانه يزكي الإنسان كما أنه هو الذي يعلّمه، والرسول يزكي الإنسان كما يعلمه، والإنسان يتزكى كما يتعلم، يلزم من

هذا أنه ينبغي للنظرية التربوية الإسلامية أن تتدارك هذا النسيان الشنيع، فتضع من السياسات التعليمية والطرائق التربوية ما ينبني على الوصل القرآني بين التعليم والتزكية، بحيث بقدر ما يتعلم الفرد ،يتزكى، وبِقدر ما يتزكى يتعلّم، ولكي يتسنى له ذلك، لابد من التصدي للمقولات التربوية المنقولة التي دمغت العقل الإسلامي، فجعلته لا يرى التربية حيث ينبغي، ولا يراها حيث لا ينبغي" (طه،ع، 2016، 39)، والتزكية ليست هي التربية على المفاهيم الأخلاقية النظرية المجردة أي تربية مفهومية بل التزكية هي مفهوم تعاملي عملي واقعي، لأن التزكية هي تزكية للأقوال والأفعال، وهي "عبارة عن تخليق الأعمال والأفكار بواسطة الأخذ عن القدوات الحسنة" (طه،ع، 2021، 199) ويكون ذلك بالاتصال التزكوي وحصول اللقاء بين ذوات القدوات الحسنة وذوات المقتدين بهم، فالاقتداء هو أساس التدين، والاقتداء ليس الذي صاغه التصور الفقهي لأن هذا الأخير اختزله في أخذ النصوص والأقوال المنصوصة، لذا التزكية هي انتقال من التسديد إلى التأييد لتثبت علاقة القيمة بالواقع.

- خاتمة

وبعد الطواف بين الحقول الفلسفية لمفهوم التزكية ومسالكها نصل إلى مجموعة من الأفكار التي يجب أن نرسخها في الأذهان ونعمل بها في ميدان المملكة الإنسانية التي تتكون من العقل والروح والنفس لنصل في الأخير إلى التطبيق العملي للفكرة في السلوك

_ في منهج التزكية يكون التغيير للانسان من التسديد إلى التأييد لصورة الانسان المتزكي لتثبيت علاقة القيمة بالواقع ويتحقق الصلاح للإنسان بموجب إيمان الإنسان بوحدانية التزكية الإلهية والتخلق بصفات الله

_ بالحب الإلهي وتدرج السالكين في مقامات هذا الحب سيصل الإنسان إلى مقام المشاهد أي في مصاف الناظر الحي لأنه يسبق نظره إلى المصور الأعلى في كل الصور التي يراها، فهو ينظر نظرة ملكوتية للكون، لتكون رؤيته للعالم رؤية منهجية وربانية سواء نظرته للأشياء أو الأشخاص أو الأفكار.

_ ما أحوجنا إلى دراسة وتدريس فقه التزكية أو مسالك التزكية النفسية في كل التخصصات العلمية فلن تكون ولادة الإنسان المتزكي إلا بالدرس النظري أولا والتطبيق العملي ثانيا في الأسرة والمدرسة والجامعة لتتكامل الجهود التعليمية والتربوية ويكون هذا المنهج مركز نهوض لحياة جديدة وسديدة لهذا الإنسان.

**

6 _المصادروالمراجع:

1_البوطي، محمد **.(2016)** .*قضايا ساخنة* .دمشق، دار الفكر.

2_طه،عبد الرحمن .(2016) .*من الإنسان الأبتر إلى الانسان الكوثر* .بيروت، المؤسسة العربية للفكر والابداع.

3_ طه، عبد الرحمن .(2021) .*المفاهيم الاخلاقية بين الائتمانية والعلمانية: المفاهيم الائتمانية* .بيروت، مركز نهوض للدراسات والبحوث.

4_الملكاوي، فتحي .(2013) .*منظومة القيم العليا: التوحيد والتزكية والعمران* .المعهد العالمي للفكر الاسلامي.

5_بدوي، عبد الرحمن .(1962) .*شهيدة العشق الالهي رابعة العدوية* .القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

6_برفغوث، الطيب .(2011) .*سلطة المنهج في الحركة النبوية* .الجزائر، دار النعمان.

7_سلون،تود .(2021) .*حياة تالفة: أزمة النفس الحديثة* .الجزائر، ابن نديم للنشر.

8_عربي، محي الدين .(2015) .*التدبيرات الالهية في إصلاح المملكة الانسانية* . دار الثقافة.

9_ليبوفتسكي، جيل .(2018) .*عصر الفراغ: الفردانية المعاصرة وتحولات مابعد الحداثة* .بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات.

10_نيتشه، فريديريك .(2020) .*هكذا تكلم زرادشت* .الجزائر، دار الوطن.